في ختام الدورة الـ٤٧ لمهرجان كارلوفي فاري

السينما النرويجية الفائزة الأكبر والإيرانية ليلى حاتمي أفضل ممثلة

كارلوفي فاري - قيس قاسم

الفلم النرويجي (اشبه برجل)

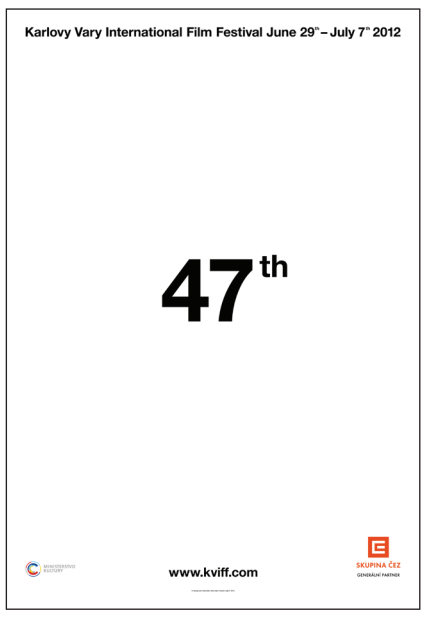

تفاصيل حفل ختام الدورة الـ٤٧ لمهرجان كارلوفي فاري أعطت صورة واضحة عن سعة برنامج تصعب الإحاطة به أو متابعته، حتى بالنسبة للنقاد والصحفيين، فالكاد يمكنهم مشاهدة نسبة معقولة من الأفلام خارج المسابقات الرسمية أو حضور الندوات ومتابعة برامج التكريم الخاصة. والجوائز نفسها عكست حجم المشاركات وطبيعتها، وطبعاً ليست بالضرورة الى جودتها وأفضليتها المطلقة، فهي تبقى تعبيراً عن ذائقة وإتفاق مجموعة صغيرة تتمثل بأعضاء لجان تحكيمها والتي لا تتوافق وأحياناً كثيرة مع المتوقع أو المرجح من قبل الحاضرين، من صحفيين ونقاد، وربما منح جائزة أفضل فيلم للنرويجي "أشبه برجل" لمارتين لوند أحد من الأمثلة الساطعة على التناقض الدائم التكرار بين الحضور وبين المقررين المجتمعين في غرفة ما من غرف المهرجان.

"أشبه برجل" يتوافق مع مزاج سينمائي إسكندنافي وأفكار معاصرة إجتماعية تخرج منها تتعلق بالموقف من الرجل والمرأة وعالم الطفولة الشديد التعقيد. وربما لهذا المناخ التأثير على منحه الجائزة كونه يذهب الى البحث في وجود الكائن الطفولي في أعماق الرجل الناضج، وبقاء تأثيرات الطفولة والميل لإعادتها عند رجل ينتظر هو بدوره أن يصبح أباً، ومن هنا جاء عنوانه الملتبس والعصي على الفهم السريع. لقد ظل في داخل هنريك (الممثل هنريك رافائيلسن الحاصل على جائزة أفضل ممثل في الدورة) ذاك الطفل الذي كان يظهر في تصرفاته وسلوكه غير المفهوم أحياناً والمتناقض مع وجوده وتكوينه كرجل ناضج. وما يعمق من الفكرة ويوسعها تشابه عدد من أصدقائه وسلوكه الطفولي. فجموعته كثيراً ما كانت تميل الى الصخب واللعب والمشاكسة والى خلق معارك عابرة بريئة تزعج كثيراً المحيطين بهم. إنه سلوك أطفال مترسخ يمارسه رجال كبار، أو وما داموا على هذا الحال هم "أشبه برجال" ما دامت في باقية دواخلهم هذه الرغبة. لقد وضع المخرج لوند سلوك هنريك "الفرداني" في تناقض مع المجموعة "الاَخرى" ومَثَلها بالزوجة والأم. لقد مَثلن العالم الخارجي الذي يرفض قبول الطفل في داخل الرجل، منسجمات في موقفهن، مع أغلبية تريد فرض صورتها النمطية للرجل الناضج وعليه سيجد هنريك نفسه ملزماً بقبولها والتصالح معها، وليس مع ذاته المنشطرة بين عالمين بل كما يريدها المجتمع ويرسم حدودها وفق نظرة عامة تحدد تطور الكائن وفق معايير "زمنية" صارمة، متناسين التداخل والتشابك المعقد في كل مرحلة من مراحل حياته.

ليس بعيدا عن المناخ النرويجي كان سائق الشاحنة جيرمين الكندي يعيش في عزلة شبه تامة بعد وفاة زوجته. كان وحيداً عزاؤه عمله الذي يشغل به حياته، لكنه وفي لحظة مباغتة، حين اصطدمت سيارة خصوصية بشاحنته وأدى الحادث الى وفاة المرأة التي كانت تقودها، وجد نفسه وحيدا وبحاجة الى مكالمة ولديه ليعبر لهما عن الألم الشديد الذي يملأ قلبه. فيلم "الشاحنة" صادم يبدأ من اللحظة الرتيبة الى الأخرى العنيفة ثم يعود ليرسم العلاقات الإنسانية بين ثلاث ذوات متقاربة من حيث صلتها البيولوجية ومتباعدة من حيث التكوين والميول، ثم يمضي الى الكشف عن حاجة الشخصيات الثلاثة الى التقارب وحتى العيش سوية بالرغم من قوة القوانين الإجتماعية الإقتصادية الرأسمالية التي تفرض شروطها على الكنديين. لعمق بحثه عن المشترك في الإنسان ولطريقة شغله الخاصة استحق صاحبه رافائيل أوليت جائزة أفضل مخرج. لقد صنع فيلماً بسيطاً من ناحية الشكل لكنه صادم، وديناميكي ترك التفاصيل تأتي بسهولة وببطء لكنها لا تبعث على الملل على العكس فرض علينا نوعاً من التواصل والملاحقة لمعرفة الى أين ستؤول العلاقة بين المثلث الإنساني وكيف سيختط كل واحد منهم وفي زاويته طريقه الخاص، بشكل خاص الأب الستيني الذي زعزع حادث السير جوانياته، غير أنه سرعان ما عاد الى توازنه والى عمله وسط مساحات هائلة من الجليد عليه السير فوقها ما دام قادرا على العمل وبه رغبة في التواصل.

بعد النجاح الذي حققه فيلم "انفصال نادر وسيمين" الذي لعبت فيه ليلى حاتمي دور البطولة وحصل على جائزة الدب الذهبي في مهرجان برلين عادت وحصلت على جائزة أفضل ممثلة في كارلوفي فاري عن دورها في فيلم "الخطوة الأخيرة" للمخرج علي مصفا. المقارنة بين الفيلمين غير عادلة، وليست في صالح فيلمها الأخير، لكن حصولها على الجائزة يحمل تكريماً للسينما الإيرانية وإعترافاً بمكانتها وهي جزء من حراك نحن معنين به كون إيران واحدة من دولة منطقتنا وتطور مسارها يفرض أسئلة محفزة عن سبب نجاحها وما الذي يمنع سينمتنا العربية من الوصول الى مستواها خاصة أن الظروف التي تنشأ فيها، سواء داخل ايران أو خارجها، قريبة الى حد بعيد من ظروف كثير من الدول العربية. وما دمنا في الحديث عن السينما العربية فقد قلت المشاركة عن العام الماضي وإن كان كارلوفي فاري بوجه عام لا يعطي لسينما هذة المنطقة مساحة واسعة فيه لكن ومع وجود جيد لنقاد وصحفيين ومدراء مهرجانات عرب، نأمل في إنفتاح مستقبلي أفضل وإتاحة المجال أمام مشاركات أوسع.

المكتبة السينمائية

"يوسف شاهين وتجربة الإنتاج المشترك"

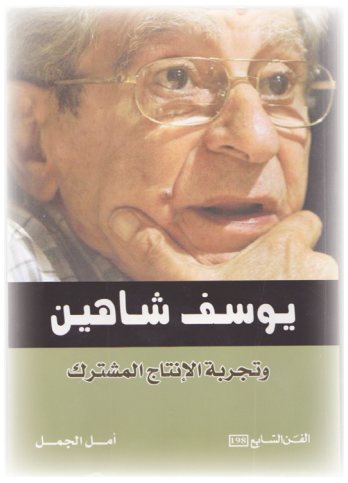

كاظم مرشد السلوم

في كتابها "يوسف شاهين وتجربة الإنتاج المشترك"، تسلط الكاتبة أمل الجمل الضوء على تجربة الإنتاج السينمائي المشترك للمخرج يوسف شاهين ابتداءً من أول فيلم مشترك "رمال من ذهب" في العام ١٩٦٦ وانتهاءً بآخر فيلم "هي فوضى في العام ٢٠٠٧" . مؤشرة أهمية هكذا نوع من الإنتاج في ظل تدهور الوضع السينمائي في مصر ، والحاجة الملحة لإنتاج أفلام سينمائية حتى لا تتوقف عجلة السينما المصرية ، كذلك أهمية مشاركة الممثلين والفنيين من دول الإنتاج والتجربة والخبرة التي يمكن أن تضاف لرصيد هذا الممثل أو ذاك الفني، مصورا أو مونتيرا أو غيرهما.

في بداية الكتاب تتحدث أمل الجمل عن بدايات المخرج يوسف شاهين في الإنتاج السينمائي المشترك ومن ثم انتقاله إلى مرحلة جديدة في أعقاب كارثة "كوبرو فيلم" في أواخر الستينات وبعد التجربة المؤلمة لفيلم "الناس والنيل" وتوقف الإنتاج السينمائي المشترك في مصر لمدة خمسة عشر عاما، خصوصا مع الدول الأجنبية إلى أن اخرج شاهين فيلمه "وداعا بونابرت"، حيث كان بداية لمرحلة جديدة من الإنتاج السينمائي المصري المشترك مع فرنسا امتدت حتى نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين .

بعد ذلك تتطرق أمل الجمال إلى التركيبة الشخصية للمخرج يوسف شاهين ، خصوصا شخصيته الخلافية التي طالما رفضت أن ترفع الراية البيضاء وان تستسلم، لذلك كان المخرج العربي الأكثر لجوءاً إلى الإنتاج السينمائي المشترك .

ثم تتطرق الكاتبة إلى مفهوم التعاون المشترك للإنتاج السينمائي، وأسباب اللجوء إليه، والأغراض الحقيقية له.

كذلك تتطرق إلى أفلام يوسف شاهين التي أنتجت بالاشتراك مع بعض الدول العربية، خصوصا الجزائر التي ساهمت في إنتاج ثلاثة من أهم أعمال يوسف شاهين هي، العصفور، عودة الابن الضال، إسكندرية ليه، وهي لا تتوقف عن تعداد هذه الأفلام بل هي تتحدث بلغة الناقد عن سبب إنتاج الفيلم أنتاجا مشتركا، والسيناريو، والتصوير، والمضمون وكذلك مشاكل الفيلم مع الرقابة، وأيضا تقبل الجمهور له، ولم تكتفِ بفيلم أو فيلمين بل كل الأفلام التي أنتجت إنتاجا مشتركا .

وتخصص جانبا من كتابها حول فرنسا والسينما الإفريقية، وكذلك العلاقات المصرية الفرنسية التاريخية وما تعنيه مصر لفرنسا، وكيف كانت مصر مقصدا للغزاة والمستعمرين، لكن الاحتلال الفرنسي دون غيره كان له طابع خاص، حيث لم يقتصر على الغزو العسكري فقد أحضرت الحملة الفرنسية معها إلى مصر عام ١٧٩٨ جيشا آخر من المثقفين، متمثلا بلجنة العلوم والفنون المؤلفة من ١٦٥ شخصا .

كتب "فرانسوا شارل رو" لم يحدث من قبل إطلاقا لجيش ذهب ليغزو احد البلدان أن اخذ معه دائرة معارف حية مثل هذه. ثم تتحدث عن التعاون السينمائي الذي حصل بينهما لسنين عديدة.

في النهاية تكتب أمل الجمال فيلموجرافيا عن سينما يوسف شاهين المشتركة، مع ملحق بصور لعدد من الأفلام التي أخرجها يوسف شاهين. الكتاب من إصدارات المؤسسة العامة للسينما السورية ضمن سلسلتها الشهيرة "الفن السابع".

مورغان فريمان: التمثيل في دمي

ترجمة/ أحمد فاضل

كان لتكريم الممثل الحائز على جائزة الأوسكار " مورغان فريمان " من معهد الفيلم الأمريكي هذا العام مناسبة أن نتحدث عن واحد من اساطين التمثيل الذين عرفتهم هوليوود في العقود الأربعة الماضية وقدمته بكل فخر لجمهور السينما في عديد الأفلام التي نالت استحسانهم ، وهو من قلائل الممثلين الذين لم يعرفوا الفشل في كل ما قدمه من أعمال ، ومن اقرب الذكريات التي يعتز بروايتها فريمان البالغ من العمر الآن ٧٤ عاما والتي كانت محفزا رئيسيا له لولوج عالم التمثيل هي لعبة صهيل الخيل التي كانت مفتتحا لهذا الحديث بعد أن سألناه عن ذكرياته التي لا يزال محتفظا بها قال:

– ما زلت أتذكر تلك الحادثة التي وقعت لي عندما كنت في الخامسة من عمري، فقد كان لي صديق استهوتنا نحن الاثنان العربات التي تجرها الخيول، وكان عليّ أن أحصل على ملابس ألفها حول جسدي كي أبدو كالحصان بينما صديقي يلعب دور السائق فندور في مدينتنا تحت شمسها اللاهبة غير مبالين بالحر أو التعب، حتى إذا ما رأتنا السيدة هاكمان وهي إحدى جاراتنا صاحت علينا أن نأتي لنشرب بعض الماء بعد أن رأت العرق يتصبب من جبهتينا. فريمان لم يحدث كل تلك الضجة حوله بين عشية وضحاها، فلم يجد النجاح الحقيقي إلا في الخمسينات من عمره بعد أن ظل لسنوات يلعب أدوارا صغيرة على خشبة المسرح من عام ١٩٧١ حتى العام ١٩٧٧، ثم قدم برنامجا تلفزيونيا ناجحا للأطفال حتى انتقاله للسينما حينما لعب دور قواد نيويورك الشرير في فيلم "شوارع ذكية" عام ١٩٨٧ ترشح بسببه لجائزة الأوسكار، ثم قدم عام ١٩٨٩ دورا مميزا في فيلم "قيادة الآنسة ديزي" وعشرات أخرى من الأفلام أهلته لتسلم جائزة العمر للإنجاز من معهد الفيلم الأمريكي وأصبح لدى تسلمه لها ثاني أميركي يتسلم هذه الجائزة المهمة بعد سيدني بواتييه، فريمان وبمناسبة حصوله عليها أجابنا بعد أن سألناه:

× هل أنت مستاء لمضي وقت طويل من حياتك المهنية للحصول على هذه الجائزة؟

– شعوري هو أن كل شيء يحدث في وقته، وطريق حياتي الذي اخترته أصبح مساره هكذا.

كلينت إيستوود النجم المخضرم له رأي آخر بفريمان يقول عنه:

– أعتقد أن تجربة فريمان المهنية هي التي جعلته متألقا دائما، فقد رقص وغنى على المسرح وكان دائما مستعدا تماما للذهاب إلى أي مجهود كبير يكلف به، فريمان لديه سلطة أخلاقية عالية في تعامله مع الحياة ، وله أيضا كم هائل من التجارب الخاصة مع الناس دفعت به لحوز كل ذلك التقدير .

نعود مع فريمان بعد أن تجاوز عمره السادسة عشرة، حلم حينها بأن يكون طيارا مقاتلا بعد أن شاهد أفلاما حربية كان للطائرات المقاتلة دور حاسم فيها، وفي الحادية والعشرين من عمره تحقق ذلك الحلم حينما جند في القوات الجوية، لكنه بعد ثلاث سنوات وثمانية شهور وعشرة أيام عاد إلى المكان الذي أحبه المسرح والسينما.

في لوس أنجلس كانت لي شقة في حي كرينشو – يقول فريمان – وحصلت في فبراير/ شباط على مبلغ من المال لكنه نفد في أواخر مارس/ آذار، وكدت أهلك من الجوع لولا عملي في كلية التربية والتعليم الذي جاء عن طريق سيدة أعرفها، وبعد فترة حصلت على وظيفة كاتب نص في المدينة نفسها.

فريمان التحق بعدها ليأخذ دروسا مجانية في التمثيل والصوت والإلقاء التي يشرف عليها أستاذه روبرت يتون الذي ساعده بحلول نهاية فصلين دراسيين على نسيان لهجته الجنوبية، وبعد ان قطع مشوارا يحسبه طويلا في السينما يبدو فريمان الآن اكثر ارتباطا بعمله خاصة مع إيستوود التي اقترنت بدايتها عام ١٩٩٢ في فيلم "مغفور" الذي لعب فيه دور مقاتل سابق يستدعى لإلقاء القبض على قاتل هو إيستوود، ثم لعب معه في ما بعد دورا مميزا في فيلم "طفلة المليون دولار" و"إنفكتوس" الذي قام فيه بأداء دور المناضل الإفريقي نيلسون مانديلا ، فريمان يقول عن إيستوود إن احد الأشياء العظيمة التي يتمتع بها هي ثقته الكبيرة بممثليه، ولذلك سنلتقي معا كثيرا كما فعلنا في إنفكتوس.

المخرج الفرنسي آندريه تشيني:

تذوّق الطبيعة الإنسانية بتدفق عشوائي

ترجمة: نجاح الجبيلي

آندريه تشيني

إن آندريه تشيني الذي يبلغ سنّه السبعين في العام القادم يصنع أفلاما في غاية الأناقة عن حيوات مضطربة. فكل الناس في أفلامه بطريقة أو أخرى هم جوالون وعابرون وجوديون ينجرفون من علاقة إلى أخرى ومن هوية إلى أخرى غير قادرين إلى حد ما على الاستقرار في ذواتهم وتلك هي الطريقة التي يفضل بها السيد تشيني أن يكونوا. إن أفلاما مثل "القصب البري" – ١٩٩٤ و "لصوص" – ١٩٩٦ و "الفتاة على متن القطار" – ٢٠٠٩ وآخر أفلامه "لا يمكن غفرانه" – وهو فيلمه التاسع عشر الطويل مليء بالشخصيات التي تبدو وكأنها لم يجر خلقها بل ببساطة جرى العثور عليها والتقاطها وهي ضالة على الطريق. فقام بمنحها مكاناً للراحة بينما هم يحاولون أن يفهموا من هم وأين ذاهبون: البيت يزداد بغير انتظام لكنه مجهز بشكل جميل والمضيف كريم وبارع ومتسامح. عند هذه النقطة ينهمك تشيني في الأرواح الضائعة لمدة أربعين سنة وهو يعرف ما يفعل.

إن الضيوف المدعوين في فيلم "لا يغتفر" هم فرانسس وهو كاتب فرنسي كبير السن (يؤدي الدور أندريه دوسولييه) وزوجته الجديدة جوديث (كارول بونكويت) وهي موديل سابقة وأنا ماريا (أدريانا أستي) وهي عميلة سرية

ابنها جيرمي (مورو كونته) قد أطلق تواً من السجن. وأليس (ميلاني تيري) ابنة فرانسس الطائشة التي تهجر زوجها وابنتها لتهرب مع ألفس (أندريه بيرغولسي) وهو ارستقراطي وسيم مدمن على الهروين. تدور الأحداث في أشد مدن العالم سحراً فينسيا، إذ يبدو سطح الفيلم ناعما مثل القنوات الهادئة. تجري المشاهد واحدا بعد الآخر بشكل هادئ مهما تكن الأفعال الحمقاء التي تصدر عن الناس. إن السيد تشيني دائماً يعنى بأحاسيس مشاهديه وتصبح أفعال الشخصيات الغريبة تدريجياً أقل غرابة وكأن الجمال نفسه يغفر لكل شيء.

أسلوب السيد تشيني محفوف بالمخاطر – فهو يخاطر بكل بما هو نفيس وبالتماسك السردي مع كل فيلم– ويتطلب الأمر فترة وجيزة كي يجيدها. إنه من جيل صناع الفيلم الفرنسيين الذين أتبعوا الموجة الجديدة. في منتصف الستينات وحين كان فرانسوا تريفو وجان لوك غودار وكلود شابرول وأريك رومر وجاك ريفيت في قمة عطائهم كمخرجين، كان السيد تشيني يفعل ما فعلوه في حياتهم السابقة: كتابة النقد السينمائي في مجلة "دفاتر السينما" (كاييه دو سينما). وبعد طقس العبور هذا صنع أول فيلم له بعنوان "بولين تغادر" – ١٩٦٩ ولم يحرك الفيلم ساكنا ولم يعرض أبداً في الولايات المتحدة. وانتظر ست سنوات قبل أن يحاول أن يصنع فيلماً طويلاً آخر: ذلك الفيلم الذي يدور في أطار السلاسل العائلية من أجيال مختلفة افتتح هنا تحت اسم "قروي فرنسي" – ١٩٧٥ وكان أكثر نجاحاً من الناحية التجارية والفنية لكنه لم يصنع فيلماً يشبهه مرة أخرى. فيلماه الآخران كان أحداهما فيلم مزخرف كئيب المزاج بعنوان "باروكو" – ١٩٧٦ والآخر سيرة ذاتية بعنوان "الأخوات برونتي" – ١٩٧٩.

إن أسلوبه الناضج يتحدر ببطء نحو الرؤية في فيلم "فندق الأمريكان" – ١٩٨١ وكان هذا أول تعاون له مع كاترين دينوف الذي استمر في ستة أفلام أخرى. إنها قصة حب غريبة تدور في "بياريتز" حول علاقة بين امرأة متحفظة غامضة متخصصة في التخدير تؤديها السيدة دينوف ورجل متهور عصابي يؤدي الدور "باتريك ديوير". وكل شيء يتعلق بعلاقتهما المتذبذبة يبدو مترددا ومؤقتاً ولا شيء يجري حله في نهاية المطاف لكن الفيلم له حرية في الخيال هي جديدة بالنسبة للسيد تشيني وهي الرغبة في مفاجئة نفسه.

واستمر بصنع الأفلام بتلك الروح: واستمرت المفاجآت بالمجيء. وهو الآن يصفي الطريقة الاستكشافية في فيلم "فندق الأمريكان" إلى الحد الذي يكون فيه قادرا على تجديد حتى أكثر الأشكال السينمائية تقليدية. إن فيملي "مشهد من جريمة" – ١٩٨٦ و"لصوص" هما فيلما إثارة – هناك جرائم في الأقل في كلاهما – لكن تشويقهما لا علاقة له بالأسئلة التقليدية بمن فعل؛ إنهما يتناولان كيف أن الجريمة تؤثر بالعلاقات بين الناس. إن دراما عائلية مثل "فصلي المفضل" – ١٩٩٣ الذي تؤدي فيه السيدة دينوف والسيد دانيل أوتول أخا وأختا تحتضر أمهما يصبح تأملاً في قابلية الذاكرة على خلخلة الحاضر وتشويش كل شيء يبدو ثابتا وراسخا.

يرغب السيد تشيني في أن يحتفظ بالأشياء سلسة وقلقة وهذا ربما هو السبب في أن أفلامه متعاطفة جداً مع اضطرابات فترة الشباب الأليمة. كل أفلامه تصور المراهقين المضطربين وهم يحاولون العثور على الطريقة التي يثبتوا فيها أنفسهم، وجوههم جدية تغيم عليها الشكوك. جريمي في فيلم "لا يغتفر" لديه تلك السيماء. كذلك جين (إملي ديكون) بطلة فيلم "الفتاة على متن القطار" التي تنزلق بحذاء التزحلق حول باريس بحثاً عن عمل بطريقة عابرة وتقع في علاقة بنفس الطريقة تقريباً وأخيراً وبلا سبب ظاهر تحكي كذبة كبيرة عامة فقط حتى تعلن أنها موجودة. لا يتجرأ السيد تشيني على تبريرها أو حتى توضيحها لكن الفيلم يترك القليل من الشك من أنه يقف إلى جانبها.

أفضل أفلامه "القصب البري" هو قصة متطورة متقدمة تدور أحداثها في مدرسة قروية في أوائل الستينيات حين وصل الاحتلال الاستعماري الفرنسي بعد صراع طويل إلى نهايته المؤلمة. إنها نوع من اللحظة في التاريخ بالنسبة لتشيني حين تكون العلاقة عشوائية في طريقها إلى أن تصبح شيئاً آخر. إن الأطفال في فيلم "القصب البري" أحدهما جزائري فرنسي يحاولون أن يصنفوا مشاعرهم السياسية وآمالهم للمستقبل وجنسانيتهم كلهم في الوقت نفسه وعلى الرغم من أن الفيلم يمتلك الرقة والراحة والإشراق إلا أن السيد تشيني يمنح مشاكلهم الوزن الذي تستحقه.

وبعد سنوات عدة صنع السيد تشيني كوميديا رومانسية محببة بعنوان "أزمان متغيرة" ويؤدي دور البطل والبطلة فيه جيرار ديباردیو و(حتما) السيدة دينوف وهما شعلتان قديمتان يلتقيان ثانية بعد سنوات عدة في المغرب ويتساءلان إن كان بمقدورهما أن يعيدا علاقتهما في العالم الجديد حولهما. وهما مصعوقان وأخرقان مثل المراهقين وذلك يجعلهما في نظر السيد تشيني حيين بالطريقة الأفضل.

إنها الأزمان المتغيرة التي نعيشها الآن هي نوع من اللحظة أيضاً. كل شيء مشكوك فيه، الأفكار القديمة حول السلالة والجندر والجنسانية والانحيازات السياسية والاقتصادية. ويوحي الفيلم بأن كل تلك الفوضى هي نظام أكثر طبيعية ولا خشية منها: إذا بمقدورك أن ترتجل قليلاً فاذهب مع مجرى التاريخ فهناك متع يفترض أنها موجودة. وذلك هو السبب في أنه يدعونا واحداً بعد آخر لكل تلك السنين. كان دائماً مخرجا مدهشا؛ ويبدو الآن لا يقدر بثمن. جاء زمنه مثل أغنية جميلة من صندوق الموسيقى.